وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

## سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

﴿يَمْسَسْكَ﴾ إن مسّك ضرٌّ في نفسك أو أهلك ﴿كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾ لا يرفع البلاء ولا يكشف الضرَّ إلا الله ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ وإذا أراد الله لك الخير، من نصر، وعزّ، وغنى، فلا يقدر أحدٌ على منعه ﴿جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ جاءكم القرآن العظيم، الهادي إلى الصراط المستقيم ﴿بِوَكِيلٍ﴾ لستُ موكلاً بحفظ أعمالكم ﴿يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ اصبر على المشاقّ حتى يفصل الله بينك وبين أعدائك، والآية تسلية للنبي ﷺ مما يلقاه من أذى المشركين السفهاء.

### سورة هود

﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ نُظمت نظماً محكماً رصيناً ﴿فُصِّلَتْ﴾ وُضحت أحكامها أجمل توضيح ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ من عند إلهٍ حكيم بمصالح العباد، عالم بأخبارهم ﴿مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ يمتعكم بحياة سعيدة هنيئة، إلى انتهاء أعماركم ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ يطوونها على عداوة الرسول ﴿يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يتغطون بثيابهم ليستخفوا من الله، لئلا يفتضح أمرهم، وهو المطّلع على خفايا سرائرهم وضمائرهم.

**سبب النزول:** لقد اشتدّت عداوةُ المشركين للرسول ﷺ والمؤمنين، ولقد وصل بهم الحقدُ أنهم كانوا إذا رأوا الرسول ﷺ ثَنَوْا صدورهم، وردُّوا إليه ظهورهم، وغشّوْا وجوههم بثيابهم، كراهةً للقائه، ويظنون أن ذلك يخفى على الله عزّ وجل، ولكنّ الله لهم بالمرصاد، يرقبهم ليلاً ونهاراً، ويعلم أحوالهم سراً وجهاراً، وفيهم نزلت ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ﴾ الآية.

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا
وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ
عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ
إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ
أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ
مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾
وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ
لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ
مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ
وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ
مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

الجزء ١٢ الحزب ٢٣

﴿مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ يعلم المكان الذي تسكن فيه، والموضع الذي تموت فيه وتُدفن ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم فيظهر المحسنُ من المسيء ﴿أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ مدة من الزمن قليلة ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾ ما يمنع العذابَ من النزول؟ يقولونه سخرية واستهزاءً ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ يوم ينزل بهم العذاب ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ لن يرفعه عنهم أحد ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ نزل وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يسخرون منه ﴿لَيَـُٔوسٌ﴾ شديدُ اليأس والقنوط ﴿كَفُورٌ﴾ شديد الكفران لنعم الله ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ يضيق صدرك من تبليغهم لئلا يكذبوك ﴿حَآءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ يصدِّقه كما اقترحنا ﴿وَكِيلٌ﴾ حافظ لأعمال العباد، والغرضُ تحريضُ الرسول على تبليغ الرسالة، وعدم المبالاة بالكفار الفُجَّار، وكأن الآية تقول: امضِ يا محمد في دعوتك، ولا تبالِ بسخريتهم وتكذيبهم، فإن الله ناصرُك عليهم!!

**توضيح وبيان:** نبَّهت الآية الكريمة ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ على أن طبيعة الكافر، الجحود لفضل الله وإنعامه، لا يُقرُّ بفضل الله عليه، فإذا حصلتْ له النعمةُ، ثم زالتْ عنه، وقعَ في اليأس الشديد، وإذا جاءته النعمةُ، طغى وبغى، وأفسد في الأرض، أمَّا المؤمن فيشكر ربه في السراء، ويصبرُ عند الضراء، كما قال سيد البشر ﷺ: **«عجباً لأمرِ المؤمنِ، إن أمرَه كلَّه له خيرٌ، وليس ذاكَ لأحدٍ إلَّا للمؤمنِ، إن أصابته سرَّاءُ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرَّاءُ صبر فكان خيراً له»** رواه مسلم.

﴿أفتراه﴾ هل يقول المشركون: إن محمداً جاء بهذا القرآن من نفسه، ونَسَبه إلى الله؟ ﴿فأتوا بعشر سور﴾ جيئوا بسورٍ عشر من مثل القرآن، في فصاحته وتشريعه وبيانه ﴿مفتريات﴾ مكذوبة على الله ﴿وادعوا من استطعتم﴾ استعينوا بمن شئتم من الإنس والجن ﴿إن كنتم صادقين﴾ في أن هذا القرآن ليس من عند الله ﴿فإن لم يستجيبوا﴾ عجزوا عن المعارضة ﴿فاعلموا﴾ فاعلموا علم اليقين، أن هذا القرآن من عند الرحمن ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ أسلموا بعد ظهور هذه الحجة القاطعة، لفظه استفهامٌ ومعناه إلزام لثبوت الحجة ﴿لا يبخسون﴾ لا ينقصون شيئاً من أجور أعمالهم ﴿وحبط ما صنعوا﴾ بطل ما صنعوه من الأعمال الصالحة ﴿بينة من ربه﴾ يقين واضح، وبرهان ساطع وهو القرآن ﴿من الأحزاب﴾ منْ يكفر بالقرآن من أهل الملل والأديان ﴿فالنار موعده﴾ له نارُ جهنم مخلّداً فيها ﴿فلا تك في مرية﴾ لا تكن أيها العاقلُ في شكٍّ من هذا النور الإلهي المنزل على محمد ﴿إنه الحق من ربك﴾ إن هذا القرآن هو الحقُّ الساطع، الذي لا يعتريه شك ﴿افترى على الله كذبا﴾ لا أحدَ أظلم ممن اختلق الكذب على الله، فنسب إليه الشريك والولد ﴿ويقول الأشهاد﴾ الملائكة والأنبياء الذين يشهدون على أعمالهم، والغرضُ فضيحةُ الكفار على رؤوس الأشهاد يوم القيامة ﴿يصدون عن سبيل الله﴾ يمنعون الناس عن الدخول في الإسلام ﴿ويبغونها عوجا﴾ يريدون أن يكون دينُ الله أعوجَ، موافقاً لأهوائهم ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ جاحدون للآخرة، منكرون لها.

أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ
ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ
فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ
هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ
وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾
أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ
﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا
مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ
ٱلرَّأْىِ ۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ
﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً
مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ۚ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾

﴿مُعْجِزِينَ﴾ ليسوا مفلتين من عذاب الله ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ بسبب كفرهم وطغيانهم ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ لم ينتفعوا بما منحهم اللَّهُ من حواسَّ، وعاشوا في الدنيا كالبهائم ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ غاب عنهم شفاعةُ الآلهة ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً إنهم يوم القيامة أخسرُ الناس ﴿وَأَخْبَتُوٓا۟﴾ اطمأنُّوا لوعد ربهم، وخشعوا له وذلُّوا ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ فريق أهل الإيمان، وفريق أهل الطغيان ﴿كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ﴾ هذا مَثَلُ الكفار ﴿وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ مَثَلُ المؤمنين الأبرار ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ هل يتساوى الأشقياء مع الأتقياء؟ والفُجّار مع الأبرار؟ لا يتساويان أبداً ﴿ٱلْمَلَأُ﴾ السادة والرؤساء ﴿أَرَاذِلُنَا﴾ سَفَلةُ الناس ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ اتبعوك من غير تفكُّر ولا رويَّة، طعنوا في نبوة نوح بثلاثة مطاعن: **الأول**: أنه بشر مثلهم، **والثانية**: أن أتباعه الفقراء والضعفاء، **والثالثة**: أنهم جماعة سُذَّج. ﴿عُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ خفي أمرها عليكم، والتبسَ، لأنكم تنظرون إلى الإنسان بمنظار (الغِنَى والثراء) فهل نُجبركم ونكرهكم على قبول دعوة الله؟ الإيمانُ لا يكون بالقهر، وإنما بالرضى والاقتناع ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ هل يمكننا إكراهكم على قبولها وأنتم غيرُ راضين بها؟

وضَّح لهم نوح عليه السلام، أنَّ كون أتباعه من الفقراء، لا ينبغي أن يكون سبباً مانعاً لهم عن الإيمان!! فالمالُ يُطغى، والسلطانُ يزول، والعبرةُ لوضوح الحجة لا لكثرة الأتباع أو قِلَّتهم!! وكونُ أتباعي من الفقراء والضعفاء، لا يقدح في أمر النبوَّة.

وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾

﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ لا أسألكم على تبليغ الدعوة أجراً ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ ما أطلب ثوابي إلّا من الله وحده ﴿بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾ لست مبعدهم عن مجلسي ﴿خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ خزائن رزقه وعطائه ﴿تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ﴾ تستهزئون بهم وتحتقرونهم لفقرهم ﴿يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾ لن يمنحهم الله الإيمان والهداية ﴿أَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾ خاصمتنا يا نوح فأكثرت خصومتنا ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ ائتنا بالعذاب الذي تتوعدنا به ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين من عذاب الله بالهرب ﴿يُغْوِيَكُمْ﴾ يضلكم ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ هل يقول كفار قريش: افترى محمد هذا القرآن من عند نفسه؟ ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ إن كنتُ قد افتريت هذا القرآن ﴿فَعَلَىَّ إِجْرَامِى﴾ عليّ وزرُ ذنبي ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ لا تحزن ﴿ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ اصنع السفينة بحفظنا، وبإرشادٍ وتعليم منّا ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى﴾ لا تشفع لهؤلاء السفهاء الفجّار، فإني مهلكهم بالغرق بالطوفان.

**توضيح وتفصيل:** قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ هذا جواب السفهاء لنبيهم نوح، قابلوه بهذه السفاهة والحماقة، فقالوا له: لقد أكثرت الكلام والخصام لنا في أمر رسالتك، فلن نؤمن بك، فأتنا بالعذاب الذي تتوعدنا به!! وكان الأحرى بهم أن يقولوا له: سمعاً وطاعة، لو كانوا عقلاء، وإنما طلبوا العذاب كما فعل سفهاء مكة حين قالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾!! فإنهم لسفههم وحماقتهم طلبوا العذاب ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ بالطوفان الذي سيعمُّ الأرض.

وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟
مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا
مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ
وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟
فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ
تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ
فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾
قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ
ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ
مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ
أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ
بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ
ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾

﴿سَخِرُوا مِنْهُ﴾ هزئوا وضحكوا عليه، وقالوا له: بالأمس كنتَ نبيًّا واليوم أصبحتَ نجارًا!! ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة سخريتكم واستهزائكم ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يذلُّه ويُهينه ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم لا ينقطع، وهو عذاب جهنم ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ فار الماءُ من التَّنور، وتفجَّرت الأرضُ عيونًا ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ ذكرًا وأنثى، من الإنسان والحيوان ﴿سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ من حكم الله بهلاكه، كزوجته وابنه كنعان الكافر ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ما آمن مع نوح إلا عددٌ قليل، **قال ابن عباس**: ثمانون نفساً من الرجال والنساء ﴿مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ بأسم الله مشيُها وجريُها فوق الماء، ووقوفها واستقرارُها على الشاطئ ﴿سَـَٔاوِىٓ﴾ سألتجئ ﴿ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ انشفِّي وابلعي ماءك ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ كفِّي عن المطر، صوّره بصورة ملكٍ مسيطر، يصدر أمره إلى السماء والأرض، فتستجيب كلٌّ منهما لأمره، وينتهي الأمر في لحظات!! ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ ذهب في أغوار الأرض ﴿بُعْدًا﴾ هلاكاً ودماراً لكل ظالم فاجر ﴿ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ ابني (كنعان) من أهلي، وقد وعدتني بنجاتهم ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ وأنتَ أعدلُ من حكمَ بالحق، فنجِّ لي ولدي من الغرق!! لقد كان وعدُ الله لنوح، أن ينجي أهله المؤمنين، ولم يكن الوعدُ لنجاة كل من ينتسب إليه بنسب أو قرابة، ولذلك جاء الردُّ سريعاً حاسماً ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ أي ليس من أهلك الناجين، الذين وعدتك بإنجائهم.

الجزء الثاني عشر — سورة هود

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ
مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا
تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ
ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ
وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ
مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ
مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ
أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِى ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾
وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ
عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا
مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ
بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الذين وعدتُك بنجاتهم من الغرق ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ عملُه قبيح يُسخط الله ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ﴾ أنصحك وأنبّهك ﴿مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ الجاهلين بحكمة الله وتدبيره ﴿بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾ اهبط من السفينة بسلامةٍ وأمان ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ﴾ وخيرات عظيمةٍ عميمة، عليكَ وعلى أتباعك المؤمنين ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ وأمم كافرة من البشر، أمتّعهم متاع الحياة الفانية ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم﴾ ثم نذيقهم عذاب جهنم المؤبَّد ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ أخبار الغيوب التي حدثت للأمم ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ﴾ ما كنتَ تعرف هذه القصص، قبل هذا القرآن ﴿فَطَرَنِى﴾ خلقني وأبدع خلقي ﴿مِّدْرَارًا﴾ غزيراً متدفّقاً متتابعاً ﴿بَيِّنَةٍ﴾ بحجة واضحة ومعجزة قاطعة تدل على صدقك ﴿عَن قَوْلِكَ﴾ لسنا بتاركي عبادة الأوثان والأصنام من أجل قولك ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ولسنا بمصدّقين لدعوتك ورسالتك!!

**توضيح:** قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾ هذه الآية من أعظم البراهين على صدق رسالة محمد ﷺ، فالرسول أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب، ثم جاءهم بأخبار من سبقه من الأنبياء مع أممهم، على وجه الحقِّ واليقين، فمن أين يعرف قصصهم وأخبارهم، لولا أن الله تعالى أوحى إليه؟ ولم يكن في زمانه من قومه من يعرف هذه القصص، ولذلك كانت معرفته لها (بطريق الوحي) أعظم برهان على صدق الرسالة لخاتم الأنبياء ﷺ.

إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَىٰكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ
وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي
جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ
مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ
﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ
رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ
﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ
مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا
فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا
بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ
يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ
وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ
﴿٦١﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَن
نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ۖ وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

﴿اعْتَرَىٰكَ﴾ ما نقول لك إلَّا أصابك بعضُ آلهتنا بالجنون، حين نلتَ منها ﴿أُشْهِدُ اللَّهَ﴾ أشهدُ الله على نفسي ﴿وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ﴾ وأُشهدكم أيضاً بأنني متبرئ منكم، ومن أصنامكم التي تعبدونها ﴿فَكِيدُونِي﴾ ابذلوا جهدكم جميعاً في أمري، واحتالوا في هلاكي ﴿لَا تُنظِرُونِ﴾ لا تُمهلوني طرفةَ عَيْن ﴿آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ ما من نسمةٍ إلَّا وربُّ العالمين خالقُها ومالكُ أمرها، وهي في قبضته تعالى ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ إن ربِّي عادلٌ، يجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي﴾ الله قادرٌ على أن يهلككم ويأتي بقوم غيركم خيرٍ منكم ﴿عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ خلَّصناهم من عذاب شديد فظيع ﴿جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ مستكبر على الله، معاند للحقِّ ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ جعلكم عُمَّار الأرض وسُكَّانها ﴿مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا﴾ كنا نرجو أن تكون فينا سيداً ورئيساً، فلما قلت هذا القول، سقطتَ من أعيننا ﴿مُرِيبٍ﴾ أمرُك موقع لنا في الريبة والشكِّ.

**توضيح:** قوله تعالى: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَىٰكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ دلَّ هذا القولُ منهم، على جهلٍ مفرط، وسَفَهٍ وغَباء، حيث اعتقدوا في حجارة أنها تنتصر وتنتقم!! ولهذا جابههم هود عليه السلام بالقوة والصلابة، وتحدَّاهم مع آلهتهم أن ينالوه بسوء.. وكلامُه هذا أوضح برهانٍ على صدقه، فإنه فردٌ واحد أمام جمع غفير، من عُتاة عاد، الغلاظ الشِّداد، المتعطشين لإراقة دمه، وقد حقَّرهم وسفَّههم، وتحدَّاهم مع آلهتهم، ولم يقدر أحد على النيل منه، وذلك لثقته بربه، وأنه يعصمه منهم!!

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي
مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي
غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً
فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ
عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ
ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ
أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ
﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا
لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟
سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا
رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ
قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ
فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

﴿بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ إن كنت على حجة واضحة، ويقين وبرهان أوحاه اللّٰهُ إليّ ﴿وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ وأعطاني النبوّة ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾ فمن يخلّصني من عذاب الله إن عصيتُ أمـــــره؟ ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ خسران وبُعد عن الهدى ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ معجزة تدلُّ على صدق رسالتي، لأنها خرجت من صخرٍ أصمّ ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ فقتلوا الناقة ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟﴾ استمتعوا بالعيش ثلاثة أيام ثم تهلكون ﴿وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ محقّق صادق لا خُلْف فيه ﴿وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ﴾ نجيناهم من ذُلّ وهـوان الـيـوم الـرهـيـب ﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾ صيحة العذاب المهلك ﴿جَٰثِمِينَ﴾ موتى لا حركة لهم كالطير الجاثم على الأرض ﴿يَغْنَوْا۟ فِيهَا﴾ كأنهم لم يقيموا في ديارهم ولم يسكنوها ﴿جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ مشـوي ﴿نَكِرَهُمْ﴾ أنـكـرهـم ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أحسّ منهم الخوف، لأنهم لم يأكلوا من الطعام.

تبصير وتذكير: رُوي أنه لمّا وعدهم نبيهم بالعذاب بعد ثلاثة أيام، عزموا على الفتك به ليلاً (قالوا لنُبيتنّه وأهلَه) فأرسل الله عليهم حجارة رضختْهم قبل قومهم، وأصبح القوم في اليوم الأول ووجوههم مصفرّة، وأصبحوا في اليوم الثاني ووجوههم محمرّة، وفي اليوم الثالث أصبحت وجوههم مسودّة، فلما كان اليوم الرابع جاءتهم صيحةُ العذاب من السماء، ورجفةٌ شديدة من الأرض، ففاضت أرواحهم، وأصبحوا جُثثاً هامدة، لا أرواح فيها ولا حراك، وهذا معنى قوله سبحانه: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ خامدين ميّتين، كالطير إذا جثمتْ على الأرض.

قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا
لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ
وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ
عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾
إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ
قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا
جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا
يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِى ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ
﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ
﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟
يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ
مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا
مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ يا عجبي ويا لهفي ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ هل ألدُ وأنا امرأة كبيرة مسنة؟ ﴿بَعْلِى شَيْخًا﴾ وزوجي إبراهيم شيخ هَرِمٌ فكيف نُرزق الولد؟ ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾؟ قدرته وحكمته ﴿ٱلرَّوْعُ﴾ ذهب عنه الخوف والفزع ﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ جاءته البشارة بالولد ﴿لَحَلِيمٌ﴾ غير عجول ﴿أَوَّٰهٌ﴾ كثير التفجُّع على الناس ﴿مُّنِيبٌ﴾ رجّاع إلى طاعة الله ﴿سِىٓءَ بِهِمْ﴾ ساءه مجيئهم وأحزنه، لأنه خاف عليهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ ضاق صدره من مجيئهم خوفاً عليهم من قومه الأشرار ﴿يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ شديدٌ شرُّه وبلاؤه ﴿يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يسرعون نحوه كأنهم يتسابقون نحو غنيمة ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِى﴾ لا تفضحوني أمام ضيوفي، أليس فيكم رجل عاقل راشد؟ ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ بطائفة من الليل ﴿مَّوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ موعد عذابهم وهلاكهم وقت الصبح ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ أليس وقتُ الصبح قريباً؟

تنبيه: يُروى أنه لمّا جاءت الملائكةُ لوطاً، جاءوه بصورة غلمانٍ مُرْدٍ، في غاية الحُسْن والجمال، ولم يعلم أنهم ملائكة، فأصابه سوءٌ وضجرٌ، وضاقَ صدرُه بمجيئهم، لأنه خاف عليهم خبائثَ قومه، لهذا ضاق صدرُه بمجيئهم، وقال: هذا يوم عصيب أي شديد الكرب والبلاء، ومن ثمّ جاءه قومه الأشرارُ، يسرعون نحو ضيوفه، كأنهم يُدفعون إلى ذلك دفعاً، وقال لهم (لوط): لا تفضحوني وتُهينوني في ضيوفي، وهؤلاء نساء البلد تزوجوا بهن، أليس فيكم رجل رشيد عاقل؟ وهنا صرّحوا بغرضهم الخبيث دون حياء وبمنتهى الوقاحة ﴿قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾.

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ
وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ
وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٰٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ
وَإِنِّىٰٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ
أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾
بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم
بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن
نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ
إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن
كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ
أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ
مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

﴿جَآءَ أَمْرُنَا﴾ جاء وقت إهلاكهم ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ فلبنا بهم ديارهم، حتى صار الأعلى أسفل ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ حجارة من طينٍ طُبخ بالنار ﴿مَّنضُودٍ﴾ متتابعة بعضها إثر بعض تشبه المطر الزاخر ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلّمة بعلامة ﴿رَبِّكَ﴾ في سَعَة تغنيكم عن التطفيف ﴿وَلَا تَعْثَوْا﴾ لا تسعوا بالفساد في الأرض ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾ ما أبقاه الله لكم من الحلال، خير لكم ممّا تجمعونه من الحرام ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ لست مكلفاً بحفظ أعمالكم لأجازيكم عليها ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ هل دينك وعبادتك تأمرك بأن نترك عبادة الآلهة؟ التي كان يعبدها آباؤنا؟ قصدوا بذلك السخرية والاستهزاء بدعوته ودينه ﴿ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ هل أنت العاقل المتصف بالحلم والرشد؟ ﴿بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ بصيرة وهداية من الله ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ وهبني النبوة ﴿إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ﴾ ما أريد إلا صلاحكم ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ﴾ ليس التوفيق للإنسان، إلّا بمعونة الله وفضله ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ على الله وحده أعتمد في جميع أموري ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أرجع بالتوبة والإخلاص في جميع أموري وأحوالي.!

الحزب ٢٤

**تبصير وتذكير:** لقد حذرت الملائكة (لوطاً) وأتباعه أن يلتفتوا إلى الوراء، لئلا تنفطر أكبادهم على قومهم وبلدتهم، وهم يرونها تنقلب على من فيها، ويصبح عاليها سافلها،وقد تهدمت الدورُ فأصبحت خراباً يَبَاباً!! وأرسلَ الله عليهم حجارة من السماء، من نارٍ وطين، تشبه المطر الزاخر، واجتمعت عليهم أفظع أنواع العقوبة: الصيحةُ المدمرة، وقلبُ مدنهم، والحجارةُ التي تشبه الطين المتحجر، ويا لها من عقوبات فظيعة، لهؤلاء الأشقياء المجرمين!!

وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ
قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم
بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى
رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ
وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ
عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ
ٱللَّهِ ۖ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ
مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ
سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ
كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ
أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾
كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾

﴿لا يجرمنكم شقاقي﴾ لا تحملنّكم عداوتي ﴿أن يصيبكم﴾ (٨٩) أن يصيبكم العذابُ كما أصاب من سبقكم من الأمم، بمعنى لا تكن عداوتكم لي سبباً لانتقام الله منكم ﴿ما نفقه﴾ ما نفهم كثيراً مما تُحدّثنا به ﴿رهطك﴾ جماعتك وعشيرتك ﴿لرجمناك﴾ لقتلناك رمياً بالحجارة ﴿أرهطي أعز﴾ هل جماعتي أعلى عندكم قدراً من الله؟ ﴿وراءكم ظهرياً﴾ جعلتم الله خلف ظهوركم، لا تعظّمونه ولا تطيعونه، كالشيء المطروح وراء الظهر!! ﴿على مكانتكم﴾ اعملوا على طريقتكم، فأنا سائر في طريقي ﴿وارتقبوا﴾ انتظروا عاقبة أمركم ﴿رقيب﴾ منتظر معكم تلك العاقبة الوخيمة ﴿جثمين﴾ هلكى ﴿يغنوا فيها﴾ كأنهم لم يعيشوا ويقيموا في ديارهم ﴿بعدا لمدين﴾ هلاكاً وسُحقاً لهم ﴿كما بعدت ثمود﴾ كما هلكت ثمود، صاح بهم جبريل صيحة، خرجت منها أرواحهم، بعد أن أصابتهم نار من السماء أحرقتهم جميعاً، وهي عذاب يوم الظلة.

تنبيه: لمَّا دعاهم نبيُّهم (شعيب) عليه السلام إلى التوحيد، وترك البخس في الميزان، استهزءوا به وسخروا وقالوا له: هل دينك يدعوك أن نترك عبادة الأوثان، وأن نترك تطفيف الكيل والميزان؟ أتريد منَّا أن نضيِّع الربحَ والثروة؟ هل أنت الرجل العاقل المتصف بالحلم والرشد؟ يستهزئون منه ويسخرون، كأنهم يقولون: أنت مجنون ولستَ بعاقل، **قال الطبري**: يستهزئون بنبيهم، فإنهم أعداء الله إنما قالوا ذلك استهزاءً به، سفَّهوه وجهَّلوه بهذا الكلام. ! تفسير الطبري.

يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ
ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ بِئْسَ
ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ
مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾
وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ
أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ
ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا
نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ
إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى
ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ
﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ﴾ يتقدمهم فرعون إلى نار الجحيم ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ أدخلهم نار جهنم ﴿الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ بئس المدخلُ الذي يدخلونه ﴿وَأُتْبِعُوا﴾ ألحقوا بالعذاب الذي ذاقوه وهو الغرق، لعنةً في الدنيا ﴿الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ ويوم القيامة بئس العونُ والعطاءُ الذي نالوه، ومعنى الرفد: العطاءُ والإعانة ﴿أَنبَاءِ الْقُرَىٰ﴾ الأخبار الهامة للأمم المهلكة ﴿قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ منها ما هو عامر، ومنها ما هو خراب قد اندثر بأهله ﴿أَغْنَتْ﴾ ما نفعتْهم آلهتهم التي عبدوها ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ ما زادوهم غير خسران ودمار ﴿زَفِيرٌ﴾ إخراج النَّفس بشدة ﴿وَشَهِيقٌ﴾ ردُّ النفس بشدة، حتى يسمع لهم صوتٌ كصوت الحمير ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ﴾ على الدوام والاستمرار ﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ عطاء غير مقطوع عنهم،

**قال الطبري**: إن العرب إذا أرادت أن تصف شيئاً بالدوام أبداً، قالوا: هذا دائمٌ دوامَ السمٰوات والأرض، بمعنى أنه دائم أبداً، فخاطبهم الله تعالى بما يتعارفونه بينهم، **قال قتادة**: صوتُ الكافر في النار كصوت الحمار، أوّله زفيرٌ، وآخره شهيق.

تنبيه: ذكر تعالى أن عذابه للطغاة الفُجّار موجعٌ شديد، والله يمهل الظالمَ ولكنْ لا يُهمله، كما جاء في الحديث الصحيح "**إنَّ الله لَيُمْلي للظَّالم** - أي يؤخر له العقاب - حتى إذا أخذه لم يُفْلته"، ثم قرأ ﷺ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ رواه البخاري ومسلم.

لَا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِراً ... فَالظُّلْمُ آخِرُهُ يَدْعُو إِلَى النَّدَمِ
تَنَامُ عَيْنَاكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ ... يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنَمِ

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ
﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ
إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ
ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ
﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا
كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ
فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ
رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

﴿فِي مِرْيَةٍ﴾ لا تكن في شكٍّ مما يعبد هؤلاء الضالون ﴿كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم﴾ هم مقلّدون للآباء تقليداً أعمى ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ نعطيهم جزاءهم كاملاً غير ناقص ﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ لولا حكم الله السابق بتأخير العذاب عنهم ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ لأهلكهم الله بتعجيل العذاب في الدنيا ﴿لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ أي لم ينالوا جزاء أعمالهم، وسيوفّيهم جزاءها في الآخرة ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ لا تجاوزوا الحدود بارتكاب المحارم ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا﴾ لا تميلوا إلى الظّلمة الفسّاق، فتمسكم نار جهنم، والركونُ الميلُ اليسيرُ ﴿طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ في أول النهار وآخره ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ ساعات وطوائف من الليل ﴿ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿أُتْرِفُوا﴾ نُعّموا فيه ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ فيهم الخير والصلاح، وإنما يهلكهم بكفرهم ومعاصيهم.

توضيح: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ﴾ هذه الآية بيان واضح، على أنه لا إكراه في الدين، فلو شاء الله لجعل جميع الناس مؤمنين مهتدين بالإجبار، ولكنه سبحانه لم يفعل ذلك، ليبقى للإنسان حرية الكسب والاختيار، التي يدور عليها عنصرُ الثواب والعقاب، فلا إكراه لأحد على الإيمان ولا إجبار، ولهذا قال: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾؟ وقد بيّن الله لعباده الطريق، وأرسل لهم الرسل، ولم يترك لأحد حجة، وللإنسان حرية الاختيار، أن يختار طريق الهدى أو طريق الضلال!! ﴿لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ ما جرت عادةُ الله أن يهلك أهل القرى ظلماً، وإنما يهلكهم بظلمهم ومعاصيهم.

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سُورَةُ يُوسُفَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾ لو أراد الله ﴿لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ جعلهم مؤمنين مهتدين ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ متفرّقين على أديان شتى ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ خلقهم ليؤمنوا ويتفقوا على الإصلاح، فكان عاقبة أمرهم أنهم تنازعوا واختلفوا ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وجبَتْ وثبَتَ كلمةُ الله، بملء جهنم من الكفار الفجار ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ لتشبيتك على أداء الرسالة ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ اعملوا على طريقتكم فنحن عاملون على طريقتنا ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الله وحده هو المختصُّ بأمور الغيب، لا تخفى عليه خافيةٌ مما يجري في السموات والأرض، يعلم التقيّ والشقيّ، والبرّ والفاجر ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ مرجع الخلائق جميعهم إلى الله، الحَكَم العدل، فيفصل بينهم بحكمه العادل ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ اعبد ربك وحده وفوّض أمرك إليه، فسينتقم لك من أعدائك ﴿بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ سيجازي كلاً بعمله، فينتقم ممن عصى، ويثيبُ من أطاع.

## سورة يوسف

﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ الواضح في بيانه، المعجز في أحكامه ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ أصدقَ الأخبار والقصص القرآنية ﴿لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ عن هذه الأنباء والأخبار، لأنها لم تقرع سمعك، ولم تخطر على بالك ﴿إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ يقول يوسف: رأيت في منامي أحد عشر كوكباً مع الشمس والقمر، خَرَّتْ ساجدة بين يديّ!! فهم «يعقوب» بنور النبوَّة أن ابنه «يوسف» سيكون له شأن عظيم، يفوق به جميع إخوانه، لذلك أوصاه أن يكتم هذه الرؤيا، ولا يخبر بها أحداً من إخوته، لئلا يحسدوه ويتآمروا عليه!!